

خطبه الجمعة - الخطبة ١١٦ : خ ١ - المصيبة ، خ ٢ - الطيور وإمكاناتها التي تفوق الطائرات والإنسان ..

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٦-١٤٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله له ما في السموات وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة ، وهو الحكيم الخبير .
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كان له نبي ولا أن هدانا الله .
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا .
عبد وقف بين يدي ربه يناجيه ، فقال : يا رب لقد عصيتك ولم تعاقبني . فوقع في قلبه أن يا عبدي قد عاقبتك ولم تدر ، ألم أحرمك لذة مناجاتي ؟
هذا الذي يعصي الله ويظن أن شيئاً لم يُصبه من جراء هذه المعصية ، لقد فاته أنه ضيع على نفسه الشيء الكثير ؛ لأن لذة القرب فاتته ، لأن لذة المناجاة فاتته ، لأن لذة السعادة في الإقبال على الله ذويت عنه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر .
قال الله تعالى في كتابه الكريم :
﴿ قُلْ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[سورة الزمر الآية : ٥٣]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، أدي الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق الجهاد .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، الطيبين الطاهرين ، الهداء المهدىين ، الذين أحبوه حباً ما أحبه أحدٌ لأحد .
قال أبو سفيان : ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمدًا .
اللهم اغفر ذنبينا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وفك أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، وتولي أمرنا ،
وبلغنا مما يرضيك آماننا ، واحتم بالصالحات أعملنا .
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

حقائق المصائب :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في سورة القصص آية بلغة المعنى ، دقique المؤدى ، يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيُقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

يُستتبط من هذه الآية حقائق عدّة .

١ - ما من مصيبة تقع إلا بما قدمت أيدي الناس :

الحقيقة الأولى : أنه ما من مصيبة تقع في الأرض إلا بما قدمت أيدي الناس ..
﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

[سورة الكهف الآية : ٤٩]

﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتَبِلًا ﴾

[سورة النساء الآية : ٧٧]

﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١٢٤]

((إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ مَحْرَمًا بَيْنَكُمْ فَلَا تَظَالِمُوا))

[صحيح مسلم]

﴿ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذَ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبَّيْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة هود الآية : ٥٦]

أول استبطان من هذه الآية :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

المصيبة لا تقع في الأرض إلا بذنب العباد ..

﴿ مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعِدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْنَتُمْ ﴾

[سورة النساء الآية : ١٤٧]

ما أصاب عبداً مصيبة إلا بإحدى خلتين ؛ بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة ، أو بدرجة لم يكن الله ليبلغها إياه إلا بتلك المصيبة ، هذا هو الاستبطان الأول :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

٢ - المعاشر :

الاستبطان الثاني : لو أن الله سبحانه وتعالى لم يرسل هذه المصيبة ، لم يضيق هذا التضييق ، لم يبعث بهذا المرض ، لم يشدد في دخل الإنسان ، لو كان في بحبوحة ، وكان في صحة ، وكان غارقاً في ملذاته ، وكان منحرفاً ، ولم يسوق الله له شيئاً ؛ لا نفسياً ، ولا جسمياً ، ولا مادياً ، ولا معنوياً ، وبقي في بحبوحة ، وبقي في يسرٍ ؛ وظلّ غافلاً عن الله عز وجل ، وظل غارقاً في لذته

، وظل تائهاً في سيرته ، وظل على هذه الحال إلى أن وافته المنية ، ما موقف هذا العبد من الله عز وجل ؟ إنه موقف المُعاتب ، إنه يعاتب ربه ، يقول : يا رب كنت تائهاً ، كنت ضالاً ، كنت جاهلاً ، كنت غائطاً في شهواتي ، لم لم تذكرني بمصيبةٍ ، لم لم تتبهني بمشكلةٍ ، لم لم تضيق عليّ ، أنت العليم الحكيم ، أنت أرحم الراحمين ، لو لا أن تصيب الناس مصيبة بما قدمت أيديهم لكان لهم عتابًا يوم القيمة ، وهما هؤلاء العذاب ..

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

لو أن ابناً اختار طريقًا غير صحيح ، والأب وافقه على هذا الطريق ؛ ولم ينصحه ، ولم يردعه ، ولم يبيّن له ، ولم يضيق عليه ، ولم يعنفه ، ولم يجره ، ولم يضره ، إذاً كبر هذا الطفل وصار شاباً ، ورأى زملاؤه في مراتب عالية وهو في أدنى السلم ، عنده ينشأ في نفسه عتابٌ كبيرٌ كبير ، يقول لأبيه : يا أبا ، أنت أعلم مني لم لم تتصحني ، لم لم تزجرني ، لم لم تردعني ، لم لم تضيق عليّ ..

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

لولا ذلك :

﴿ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

بعض العلماء جعل هذه الآية حجّةً على أن الفكر الذي وهبنا الله إياه يكفي لمعرفة الحق من الباطل ، وأن هذه المصائب ما هي إلا نوعٌ من التنبieات ، ما هي إلا رسولٌ من نوع آخر تخاطب عقل الإنسان ، تقول : يا إنسان الله غنيٌ عن تعذيبك ، ما هذا التعذيب إلا تذكرة ، إلا حضٌ ، إلا إثارة ، إلا لفت نظر ..

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

لم يقل الله عز وجل :

ربنا لولا أرسلت إلينا مصيبة .

بل بدل المصيبة بالرسول .

معنى أن المصيبة نوعٌ من أنواع الرسل ، إنه بالمرض يذكر العبد ، إنه بالفقر يذكره ، إنه بالضيق المادي يبعث في نفسه التذكرة ..

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَبَّعَ آيَاتِكَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

يؤكد هذه الآية قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعِدَهُ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٤٧]

أي نقتضي رحمة الله الواسعة ألا يردّ بأسه عن أولئك الذين لا عمل لهم ، أولئك الذين غرقوا في المعاصي ، أولئك التائدون ، أولئك الشاردون ، أولئك الغافلون ، لا يقع واقعٌ في الأرض إلا بحكمةٍ بالغة ، وتقديرٍ دقيق ، وكان أحد العارفين بالله كلما أصابته مصيبة يقول : ذلك تقدير العزيز العليم .

لا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : فَدَرَّ اللَّهُ وَمَا شاءَ فَعَلَ ، فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان .

إتباع الهوى :

الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

إن لم يستجيبوا لك ويتوبوا إلى الله ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، وليس في الأرض رجلٌ أشد ضلالاً ممن جعل إلهه هواه ، وليس في الأرض رجلٌ أشد ضلالاً ممن قادته نفسه الأمارة بالسوء ، ومن كان مُنْقاداً لنفسه ، من جعل هواه هدفاً كبيراً في حياته .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ إشارة دقيقة في هذه الآية :

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

فهل هناك اتباع للهوى بهدىً من الله ؟

بعضهم قال :

حينما يختار الإنسان الطريق الشرعي في الزواج ، هذا عملٌ مشروع .
وحينما يكسب الإنسان المال من طريق مشروع ، فالله يرضى عنه .
ولكن الانحراف أن تميل مع الهوى من دون هدىً من الله سبحانه وتعالى .

أن تميل مع الهوى على حساب الآخرين .

أن تميل مع الهوى وتعتدي على حقوق الآخرين .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ آيتان من سورة القصص :

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبُهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ أَيَّاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

إِذَا لَوْ كَشَفَ الْغُطَاءَ لَاخْتَرْتُمُ الْوَاقِعَ ، وَلَوْ كَشَفَ الْغُطَاءَ لَا يَزْدَادُ الْمُؤْمِنَ يَقِينًا ، بَلْ يَقِينَهُ قَبْلَ كَشَفِ الْغُطَاءِ ، كَيْقِينَهُ بَعْدَ كَشَفِ الْغُطَاءِ .

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة يونس الآية : ١٠]

وَالرَّضَا بِمَكْرُوهِ الْقَضَاءِ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْيَقِينِ ، وَعَلَامَةُ الْهَدِيِّ الْاسْتِجَابَةِ ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبُّكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٢٤]

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

السنة المطهرة :

أحاديث تبدأ بـ لو تعلمون..... :

أيها الإخوة الأكارم ؛ إلى السنة المطهرة ، أحاديث شريفة عَدَّة تبدأ بقوله عليه الصلاة والسلام :

((لو تعلمون))

النبي عليه الصلاة والسلام أعلم البشر بآيات الله عز وجل قال :

((أخشاكم الله أنا))

[الجامع لأحكام القرآن]

أوتى من العلم ما لم يؤت أحد من العالمين ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

لو تعلمون ما ادخر لكم بعد الموت ، لو تعلمون ما ادخر لكم من نعيم مقيم ، من جنات عرضها كعرض السماوات والأرض ، لو تعلمون ما ادخر لكم مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، لو تعلمون طبيعة الجنة ، وما فيها من سعادة أبدية ، لو تعلمون مقدار الطمأنينة والسرور الذي يحصله المؤمن بعد الموت .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

زوي عنه المال فهو في غَرَّ حَزَنٍ ، إنه جاحد ، لو يعلم ما عند الله من سعادة لما حزن على فوات المال ، لقد فاتته المرأة الصالحة ، أو فاتته المرأة التي تروق له ، فهو يندب حظه ليل نهار .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

فانته هذه الشهادة فلم يحصلّها ، حصلها زملاؤه وارتقا في مراتب اجتماعية عليه ، دائمًا في حزنٍ شديد .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

لم يرزقه الله أولاً ذكوراً ، فهو في غمٍ مستمر .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

لم ينجِب أولاً بنتَة ؛ كان عقيماً ، قلبه يكاد يتفترّأ الماء .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

يسكن بيته صغيراً ، دخل إلى بيته واسع فأصابه حزنٌ شديد ، لهذا البيت القميء الذي يسكنه .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

لو عرفت ما في الآخرة من نعيمٍ مقيم ، لو عرفت مقدار الصدق عند مليكٍ مقتدر ، لو عرفت المكان الكريم الذي يحتله المؤمن يوم القيمة ، لو عرفت العطاء الذي يعدك الله به ، لو عرفت ما عند الله ، ما ندمت على شيءٍ فاتك من الدنيا .

وسيدنا الصديق ، رضي الله عن الصديق ، قرأت عنه كلمةً تركت في نفسي أثراً بليغاً ، قرأت عنه : أنه ما ندم على شيءٍ فاته من الدنيا قط . أبداً لأن الدنيا زائلة ، عرضٌ حاضر يأكل منه البر والفاجر ، كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو كأنك عابر سبيل ، كن في الدنيا كأنك مسافر ، ما لي وللنها .

مر النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه بشاةٍ ميتة ، فقال لأصحابه الكرام :

((أترؤن هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا : من هوانها أقوها . قال : والذي نفسي بيده

للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها))

[تخريج أحاديث الإحياء]

إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمَن لا يحب ..

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْتُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾

﴿ أُولَئِكَ الْقُوَّةُ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٧٦]

ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَبِذَلِكَ فَلِيفَرَحُوا ﴾

[سورة يونس الآية : ٥٨]

يفرحوا بالعمل الصالح ، ليفرحوا بالقربى من الله عز وجل ، ليفرحوا بالاستقامة على أمر الله ،
ليفرحوا بطاعة الله ، أما إذا فرحوا في الدنيا فهم من أصحاب الأفق الضيق ..
﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

[سورة القصص الآية : ٧٦]

﴿فَيَضْحَكُوا قَبِيلًا وَلَيْبُكُوا كَثِيرًا﴾

[سورة التوبه الآية : ٨٢]

الذين كفروا :

﴿نُمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِظٍ﴾

[سورة لقمان الآية : ٢٤]

قال :

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْنَرَهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبَئْسَ الْمَصِيرُ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٢٦]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثْقَلْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيتُمُ بِالْحَيَاةِ
الَّدُنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَاتَعْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ﴾

[سورة التوبه الآيات : ٣٩-٣٨]

هذه مصيبة ..

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيُقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ
وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

أيها الإخوة المؤمنون :

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

لو تعلمون ما بعد الموت ، لذلك قال سيدنا علي كرم الله وجهه :
الغنى والفقر بعد العرض على الله .

والغنى والفقر مطيتان إلى الله ، لا أبالي أيهما امتنع .

الغني يوصلك إلى الله عز وجل بتواضعك ، وسخائه ، وفعلاك المعروف ، والفقير يوصلك إلى
الله عز وجل بصبرك ، وعفتك ، وتجملك ، مطيتان إلى الله عز وجل .

((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً))

((لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ، ولا شربتم شراباً على
شهوة أبداً ، ولا دخلتم بيتك تستظلون به ، ولمررتم إلى الصعدات تلدون صدوركم وتباكون على
أنفسكم))

[كنز العمال]

لو تعلمون ..

﴿ كَلَا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

[سورة النكاثر الآيات : ٨-٥]

لو تعلمون الذي يحاسب على كل صغيرة وكبيرة ما خرجم عن أمره قيد أنملا .

رجل اغتصب درعا ، فتأمله ، فرأى عليه بيتبين من الشعر :

إذا جار الأمير وحاجبه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ، ثم ويل ، ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

* * *

وقع مغشياً عليه ، وذهب إلى مكة المكرمة ليطوف بالبيت ، وجعل يقول : رب اغفر لي ذنبي ولا أظنك تقنع ، فقال من سمعه : يا هذا ما أشد يأسك من رحمة الله !؟ قال : ذنبي عظيم . لو تعلم الذي يحاسب دقة حسابه ، ما خرجم عن أمره قيد أنملا ، ولكنه الجهل ..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾

[سورة فاطر الآية : ٥]

الشيطان يقول لك : لن يحاسبك ، يقول لك كلاماً يؤدي إلى أن تبقى على معصية الله .

((لو تعلمون ما في الصف الأول ما كانت إلا قرعة))

[الجامع الصغير]

في الخطب ، وفي مجالس العلم ، وفي المساجد ، وفي الصلوات الخمس ، لو تعلمون ما في الصف الأول من الخير ما كانت إلا قرعة .

((لو تعلمون من الدنيا ما أعلم لاستراحت نفسكم منها))

[الجامع الصغير]

لأنها تغر ، وتضر ، وتمر ، الدنيا دار مَنْ لا دار له ، ولها يسعى مَنْ لا عقل ، خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هماً ، مَنْ أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر .

((لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحدٍ يسألـه شيئاً))

[الدر المتنور في التفسير المأثور]

((لأن يأخذ أحدهم أحبله فيحتطب به خير له من يسأل الناس أعطوه أو منعوه))

[الجامع الصغير]

كان الصديق رضي الله عنه يركب راحلته وكان خليفة المسلمين ، وقع ذمام الناقة على الأرض فنزل وأخذه ، عاتبه أصحابه : يا خليفة رسول الله نكفيك ذلك . قال : أمرني حبيبي عليه الصلاة والسلام ألا أسأـل الناس شيئاً .

((لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحدٍ يسألـه شيئاً))

[الدر المتنور في التفسير المأثور]

((لو تعلمون ما أعلم لبكـتم كثيراً ولضـحـكتـم قـليـلاً))

[كثـفـ الخـفـاء]

يظهر النفاق ، وترتفع الأمانة ، وتقبض الرحمة ، ويتهام الأمين ، ويؤتمن غير الأمين هكذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن بعض أشراط الساعة .

لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل لاتكلتم عليها ، ولكن الله سبحانه وتعالى يبريك من شدته ورحمته في وقت واحد ، لعلكم ترغبون وترهبون ، لعلكم تحبون وتخشون .
سيدنا أبو ذر لقي سيدنا عمر رضي الله عنه قال :
يا خليفة رسول الله هاب الناس شدتك .

فقال :

يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباعتي هذه .
ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى .

زيد بن حارثة :

أيها الإخوة الأكارم ... إلى قصةٍ قصيرةٍ قصيرةٍ تبتئكم عن حقيقة الإيمان .
كلّم يعلم أن سيدنا زيد بن حارثة كان غلاماً عند النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد قدّمه السيدة خديجة له ، وفي موسم الحج قصد البيت الحرام نفر من قوم زيد ، وفيما كانوا يطوفون بالبيت العتيق إذا هم بزيد وجهاً إلى وجهه ، فعرفوه وعرفهم ، وسألوه وسائلهم ، ولما قضوا مناسكهم - هذا قبل الإسلام وقبل بعثة النبي العدنان - وعادوا إلى ديارهم أخبروا حارثة والده ، بما رأوا وحدثوه بما سمعوا ، وقال زيد رضي الله عنه لهم : أخبروا أبي أتنى مع أكرم والد ، هكذا النبي كان يعامله .

فما أسرع أن أعد حارثة راحلته ، وحمل معه المال ما يفدي به فلذة كبده وقرة عينه ، وصاحب معه أخيه كعباً ، وانطلاقاً معاً ، باتجاه مكة ، فلما بلغاها ، دخلا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة ، قبل أن يكوننبياً - و قال له :

يا عبد المطلب أنتم جيران الله تفكرون العاني ، وتطعمون الجائع ، وتعيثنون الملهوف ، وقد جئناك في ابننا الذي عندك ، وحملنا إليك من المال ما يفي به ، فامنن علينا وفاده بما شئت من المال .

قال محمد صلى الله عليه وسلم : ومن ابنكم الذي تعنيان ؟

فقالا : غلامك زيد بن حارثة .

فقال : وهل لكم فيما هو خير من الفداء ؟

فقالا : وما هو ؟

ال : أدعوه لكم ، وأخيره بيني وبينكم ، فإن اختاركم فهو لكم بغير مال ، وإن اختارني فما أنا والله بالذي يرحب بما يختاره .

فقالا : لقد أنتصف وبالغت في الإنفاق . من دون مال ، من دون فدية .

فَدعا رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيداً وَقَالَ :
مَنْ هَذَا ؟ هَذَا الْاحْتِيَاطُ ، وَهَذَا الذِكَاءُ ؟
فَقَالَ : هَذَا أَبِي حَارثَةَ بْنَ شَرَحْبِيلَ ، وَهَذَا عَمِيْ كَعْبٌ .
فَقَالَ : قَدْ خَيَّرْتَكَ إِنْ شِئْتَ أَقْمَتَ مَعْهُما وَإِنْ شِئْتَ أَقْمَتَ مَعِيْ .
فَقَالَ مَنْ غَيْرِ إِبْطَاءٍ وَلَا تَرْدِدٍ : بَلْ أَقْيَمْتَ مَعَكَ ، وَمَا أَنَا بِالذِي أَخْتَارَ عَلَيْكَ أَحَدًا ، أَنْتَ الْأَبُ وَالْعَمُ
وَالْأَمُّ .

فَقَالَ أَبُوهُ : وَيُحِبُكَ يَا زِيدَ أَتَخْتَارُ الْعَبُودِيَّةَ عَلَى أَبِيكَ وَأُمِّكَ ؟!
فَقَالَ زِيدٌ : إِنِّي رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئاً ، أَنْسَانِي أَبِي وَأُمِّي ، وَمَا أَنَا بِالذِي يَفَارِقُهُ أَبَدًا .
عَنِّيْتُ خَرْجَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى السَّوقِ وَقَالَ : اشْهُدُوا أَنْ زِيداً ابْنِي حَقّاً ، أَرْثَهُ
وَيَرْثِي .

وَعِنْهَا صَارَ يُسَمَّى سَيِّدُنَا زِيداً : زِيداً بْنُ مُحَمَّدٍ ، إِلَى أَنْ جَاءَتْ آيَةُ التَّبْنِيِّ وَأَلْغَتْ التَّبْنِيَّ ، فَعَادَ
اسْمُهُ زِيدُ بْنُ حَارِثَةَ ، كَانَ حَبَّ رَسُولِ اللهِ ، وَعُرِفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ أَنَّهُ يَحْبَهُ حَبَّاً جَمِّاً ، فَقَدْ غَبَطَهُ
عَلَى هَذِهِ الْمَحَبَّةِ أَقْرَبَ النَّاسَ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

أَيَّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ ؛ حَاسِبُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْاسِبُوكُمْ ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوْزَنَ عَلَيْكُمْ ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّنَا إِلَى غَيْرِنَا وَسِيَّطَنَا إِلَيْنَا فَلَنْتَذَذْ حَذْرَنَا ، الْكَيْسُ مَنْ دَانَ
نَفْسَهُ وَعَمِلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هُوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيِّ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الخطبة الثانية :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْلَ الصَّالِحِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

الطيور وإمكاناتها:

أَيَّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ ؛ قَرأتُ فِي مُوسَوِّعَةٍ عَنِ الطَّيْرَانِ جَمْلَةً اهْتَرَّتْ لَهَا مُشَاعِرِي ، مُوسَوِّعَةٍ
عَلْمِيَّةٍ عَنِ الطَّيْرَانِ ، عَنِ الطَّائِراتِ ، مَكْتُوبٌ فِي هَذِهِ الْمُوسَوِّعَةِ :
أَنَّهُ مَا مِنْ طَائِرٍ صَنَعَهَا إِنْسَانٌ ، تَرْتَقِي إِلَى مَسْتَوِيِ الطَّيْرِ ، أَوْ تَجْرُؤُ عَلَى أَنْ تَقْرَبَ مِنْهُ .
فَالْطَّيْرُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، هَذَا قَالَ :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضُنَّ﴾

[سورة الملك الآية : ١٩]

فالطيور ، من أكثر مخلوقات الله جمالاً ، ومن أجملها نغماً ، ومن أكثرها استحواذاً على الإعجاب ، توجد في كل بقعة من بقاع العالم ، في أطراف المناطق القطبية ، إلى قم الجبال الشامخة ، إلى أكثر البحار هيجاناً ، إلى أكثر الغابات ظلماً ، إلى أكثر الصحاري عرياً ، إلى أكثر المدن ازدحاماً ، في أي مكانٍ على وجه الأرض ، تجد الطيور .

عدّ العلماء حتى هذا التاريخ من أنواع الطيور ما يزيد عن تسعة آلاف نوع ، تسعة آلاف نوع من أنواع الطيور ، وقد زوّد الله سبحانه وتعالى الطير بوزنٍ خفيف ، يعيشه على الطيران ، وأكياسٍ هوائية ، منتشرة في كلِّ أماكن جسمه ، تخفف من وزنه ، وتبرِّد عضلاته الحارة ، من شدة الخلقان ، وجعل عظامه مجوفة ، وجعل ريشه ، لا وزن له ، ليعيشه على الطيران ، وجعل الطير يتمتع بميزاتٍ يحتاجها في طيرانه .

فهو يتمتع بقوة البصر ، بل إن قوة بصر بعض الطيور تزيد عن قوة إبصار الإنسان ، ثمانية أضعاف ، إن بعض أنواع الطيور ، يرى فريسته على بعد ألفين من الأمتار . والعين عند الطائر أيها الإخوة الأكارم أكبر حجماً من مخه ، و تستطيع أن ترى عينه دائرةً تامةً ، الإنسان يرى مئة وثمانين درجة ، بينما يدير وجهه ورأسه تتسع هذه الدرجات ، لكنَّ الطائر مزود بعينين جانبتين ، تمسحان الدائرة بأكملها .

والطائر أيها الإخوة ؛ له سرعةٌ تزيد عن مئة وثلاثين كيلو متراً في الساعة ، وبعض أنواع الطيور يقطع ستة آلاف كيلوا متراً دون توقف ، ستة وثمانين ساعة طيران بلا توقف يقطعها الطير ، أية طائرةٍ تقطع هذه المسافة ، ستة وثمانين ساعة من دون توقف ؟ ومن دون تزوّد بالوقود ، أو بالطعام ، أو بالشراب ؟

﴿أَوَلَمْ يَرُوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضُنَّ﴾

[سورة الملك الآية : ١٩]

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأله شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطي ، ونم من منع ، وأنت من فوقهم ولـي العطاء ، وبيـدك وحدك خزانـ الأرض والسماء .

اللهم اهدا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها عنا إلا أنت .

والحمد لله رب العالمين